معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس جوامع الأخبار

شرح الشيخ محمود الراعوش حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (8)

التاريخ: الاثنين 04/ذو الحجة/1440 هـ

05/أغسطس(آب)/2019 م

شرح الأحاديث ((18، 19، 20)).

- ◊ ملخص الدرس:
- **الحديث (١٨): "الظلم ظلمات يوم القيامة"، وفيه:**
  - تعريف الظلم في اللغة والشرع.
  - أن الظلم في الشرع باعتبار حكمه: أكبر وأصغر.
  - أن الظلم في الشرع باعتبار وقوعه يقسم إلى: ظلم النفس، وظلم الخلق.
  - أن أعظم أنواع الظلم الشرك بالله.
  - بيان معنى "الظلمات" في اللغة وفي هذا الحديث.

- **الحديث (١٩): "انظروا إلى من أسفل منكم..."الحديث وفيه:**
  - معنى "ازدراء النعمة"، ومعنى "النعمة".
  - أنه حديث جامع، فلا يستغني عنه الطائع ولا العاصي، ولا الغني ولا الفقير، ولا المبتلى ولا المعافى.
  - فيه التنبيه على الداء، ووصف الدواء.
  - فيه ذكر أركان الشكر وهي: شكر القلب، وشكر اللسان، وشكر الجوارح.
  - فيه الحث على شكر القلب، لأنه أهم الأركان، لأن اللسان والجوارح تبع له.
  - تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: 4] أي (خير لك ولمن آمن بك).

- **الحديث (٢٠): "لا يقبل الله صلاة أحدكم -إذا أحدث- حتى يتوضأ".**

- هذا الحديث مثال لتقرير قاعدة مهمة وهي: "أن الأحكام الشرعية لا تكتمل إلا (باجتماع شروطها وأركانها وانتفاء موانعها).

- أن ذلك لا يتحقق إلا بتتبع أدلة المسألة وضمها إلى بعضها حسب قواعد أصول الفقه.

- ومن تطبيقات هذه القاعدة أنها تستعمل:

- عند استنباط الشروط والأركان والموانع.

- وعند استنباط الحكم الشرعي عند تعارض الأدلة.

- ولتقرير مسائل العقيدة على الوجه الصحيح.

- وعند الحكم على معين.

الدرس الثامن من شرح جوامع الأخبار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد..

فهذا هو **الدرس الثامن** من دروس شرح (**جوامع الأخبار**)،

وفيه شرح الأحاديث (١٨، ١٩، ٢٠)..

﴿ شرح الحديث الثامن عشر ﴾

قال المؤلف رحمه الله: **(عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "الظلم ظلماتٌ يوم القيامة". متفقٌ عليه.**[1]

هذا حديثٌ جامعٌ، فيه التحذير من جميع أنواع الظلم، وأنه من الكبائر، وفيه الحثّ على ضده وهو العدل، ووضْعُ الأمور في مواضعها.

فقال: " **الظلم** ": وهذا لفظ عامّ، لأنه مُعَرَّف بـ(أل) الاستغراقية. فيعُمّ جميع أنواع الظلم، وهي راجعةٌ إلى نوعين كما سيأتي.

فمعنى الحديث: جميع أنواع الظلم حرامٌ، وجميع أنواع الظلم ظلماتٌ يوم القيامة.

فما معنى الظلم؟ وما معنى الظلمات؟

الظلم عند أهل اللغة:

- **هو: (وضْع الشيء في غير موضعه).**
- **وهو: (الجَوْر ومجاوزة الحد)، (والجَوْر نقيض العدل).**
- **والظلم أيضا هو (النقْص).**

هذه ثلاث تعريفات للظلم، وأهمها وأكثرها استعمالاً الأول، والثاني داخلٌ فيه.

1- أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).

وورد الظلم بالمعنى الثالث وهو (النقص) في موطن واحد من القرآن؛ في سورة الكهف (٣٣): قال تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾، أي ولم تُنقِص منهُ شيئا.

والظلمُ في الشرع بالنظر إلى حكمه نوعان؛ ظُلْمٌ أكبر، وظُلْمٌ أصغر.

• **الظلمُ الأكبرُ: هو المُخرِجُ من المِلَّة؛**

كالشرك الأكبر والكفر الأكبر، وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [1]

" **بظلم** ": أي بشرك، بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]وهذا تفسير الرسول ﷺ لها كما في الصحيحين: (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[الأنعام: ٨٢]، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: " لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾")[3]

• **والظلمُ الأصغرُ: ما لا يُخرِجُ من المِلَّة.** ويشملُ:

- الشركَ الأصغرَ،
- والبدعَ،
- والمعاصي؛
- الكبائرَ والصغائرَ.

وكل من الظلم الأكبر والأصغر مِن وضْع الشيء في غير مواضعه.

ولذلك فإن مِن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الظلمَ نوعان؛ ظلمٌ دون ظلم، أي بالنظر إلى حُكْمِه؛ فهو ظلم أكبر وظلم أصغر.

وهكذا الكفر،والشرك والنفاق،والفسق؛ كل هذا منه أكبر وأصغر.

1- [الأنعام: ٨٢]
2- [لقمان: ١٣]
3- أخرجه البخاري (٣٢، ٣٣٦٠، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، ٤٦٢٩، ٤٧٧٦، ٦٩١٨، ٦٩٣٧)، ومسلم (١٢٤).

وهذا فيه ردّ على الخوارج الذين لا يُفَرّقون بين الكبيرة المُخرِجة من المِلَّة، والكبيرة التي لا تُخرِج من المِلَّة. وبهذا نفهم آيات المائدة في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله، وهو:

.قوله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1]، وقال: ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2]، وقال: ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[3]

فالكفر والظلم والفسق في الآيات يكون مُخرِجاً من المِلَّة لمن استَحَلّ الحكم بغير ما أنزل الله. أما من فعَلَه وهو يعلم أنه مُحَرَّم فلا يَخرُج من المِلَّة. فهو كفر أصغر وظلم أصغر وفسق أصغر، وهو عاصٍ لله ورسوله، ومرتكب كبيرة من كبائر الذنوب.

وأكثر الظلم المذكور في القرآن من الظلم الأكبر، ولكن ليس كل الظلم في القرآن ظلما أكبر، فبعضه يُقصَد منه الأصغر، وبعضه فيه تفصيل كآيات المائدة، وأكثره من الظلم الأكبر.

إذن، فالظلم من حيث حكمه: أكبر وأصغر، والظلم من حيث وقوعه أيضًا نوعان:

- **النوع الاول: ظلم النفس**: وأعظمه؛ الشرك الأكبر، ثم الأصغر، ثم البدع والمعاصي كبيرها وصغيرها. والمَخرَج من هذا النوع من الظلم؛ التوبة.
- **النوع الثاني: ظلم الخَلق**: بالتّعدّي على حقوقهم، وإنقاصها، وتحريف الأمور عن مواضعها.

وهذا النوع يتفاوت بحسبه، ويشمله قوله ﷺ:

«فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، ... ".[4]

فمن اعتدى على حق غيره فهو ظالم، سواء بسَلْبِه حقَّه، أو بإنقاصه، أو بمماطلته في حقه، أو بجلب ضرر عليه، أو بتفويت مصلحته عمداً، إلى غير ذلك في صور كثيرة من الظلم لا تكاد تحصى.

والمَخرَج من هذا النوع الثاني: التوبة والتحلل من الحقوق قبل الموت.

1- [المائدة: ٤٤]
2- [المائدة: ٤٥]
3- [المائدة: ٤٧]
4- أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٢١٨، ١٦٧٩)

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ».[1]

فنرى أن الظلم يتفاوت، وبعضه أظلم من بعض، فأظلم الظلم الشرك الأكبر، ثم سائر البدع والمعاصي كبيرها وصغيرها. والله عز وجل يقتَصُّ لكل صاحب حق حقه، حتى اللطمة.

وكل أنواع الظلم راجعة إلى: وضع الشيء في غير موضعه.

فأقبحه وأشنعه؛ أن تعبد غير الذي خلقك ورزقك وأَمَدَّك بأنواع النعم.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: (أما وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِه البالغ غايةَ الشناعةِ: فهو وضعُ العبادةِ في غيرِ خالقِ السماواتِ والأرضِ، فَمَنْ عَبَدَ غيرَ الذي خَلَقَهُ ورَزَقَهُ فَقَدْ وضعَ الأمرَ في غيرِ موضعِه، فهو أعظمُ الظالمين، وأخبثُ الواضعين للشيءِ في غيرِ موضعِه؛ ولهذا المعنَى كَثُرَ في القرآنِ العظيمِ إطلاقُ الظلمِ مُرَادًا به الكفرُ، وهو أخبثُ أنواعِه، ومنه قولُه: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾[2] وقولُه: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[3] وقولُه: [وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾[4] وقال عن العبدِ الحكيمِ لقمانَ: ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[5])[6]

فهذا النوع المراد بالظلم فيه الشرك الأكبر.

ثم قال رحمه الله: (النوعُ الثاني من أنواعِ الظلمِ: هو وضعُ الطاعةِ في غيرِ موضعِها، والمعصيةِ في غيرِ معصيتِها بما لا يُؤَدِّي إلى الكفرِ، كَأَنْ يُزَيِّنَ لكَ الشيطانُ أن تعملَ عَمَلاً يُخَالِفُ الشرعَ فتطيعُ

1- أخرجه البخاري (٢٤٤٩، ٦٥٣٤).
2- [الكهف: الآية ٥٠]
3- [البقرة: الآية ٢٥٤]
4- [يونس: الآية١٠٦]
5- [لقمان: الآية ١٣]
6- انتهى كلامه من "العذب المنير في مجالس التفسير"(٢/ ٢٦٠).

الشيطانَ، وتعصِي اللَّهَ، وأنتَ عَالِمٌ أَنَّكَ عاصٍ مُجْرِمٌ، وأنكَ فعلتَ قبيحًا، فهذا ظلمٌ دونَ ظلمٍ، ووضعٌ للطاعةِ في غيرِ موضعِها، والمعصيةِ في غيرِ موضعِها، وليسَ بكُفْرٍ، وهو ظلمٌ دونَ ظلمٍ)[1]

قوله: (وضْع الطاعة في غير موضعها)؛ أي: طاعة غير الله، بطاعة الشيطان والهوى.

وقوله: (ووضْع المعصية في غير موضعها)؛ أي أن يعصي اللهَ بدلاً من أن يعصي شيطانه وهواه.

ثم ذكر مثال هذا النوع قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾[2]، أي ظلَم نفسه بالمعاصي التي لا تُخرِج من المِلّة، فهو ظلم دون الظلم الأول.

أما معنى: " **الظُّلُمات** ".

.فالظُّلُمات جمع " ظُلْمة "، وهي ذهاب النور.

وجاء لفظ الظُّلُمات في الحديث مُجْملاً، فمن فَهِمه على ظاهر الكلام، فمعناه أن الظلم ظلمة على صاحبه يوم القيامة، حتى لا يهتدي سبيلا، بينما المؤمنون يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، كما قال تعالى في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ☆ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ☆﴾[3]

وقال تعالى في سورة التحريم:

﴿... يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]

وبناءً على هذه الآيات: فإن معنى الظُّلُمات في الحديث على ظاهرها، أي أنه لا يجد نوراً على الصراط يهتدي به، جزاء وفاقا له لأنه في الدنيا قدم الظلمات على النور.

1- المصدر السابق
2- [فاطر: ٣٢]
3- [الحديد: ١٢، ١٣].
4- [التحريم: ٨]

وقيل: الظُّلُمات؛ معناها: الشدائد. كما قال تعالى:

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1] أي: من شدائدها.

.وقيل الظُّلُمات؛ العقوبات. لأن كل ظالم سيُعاقَب بحسب ظُلْمه كما ثبت في نصوص كثيرة.

وجميع هذه المعاني صحيحة، لأنها محتملة من جهة اللغة، ولأن كل معنى منها سيقع يوم القيامة، كما دلّت عليه الأدلة.

فالظالم يذهب نوره على الصراط؛ كما في آيات (الحديد والتحريم)، والظالم تصيبه الشدائد والكربات بحسب ظُلْمه، والظالم يعاقَب بظُلْمه ويُقتَصّ منه.

هذا معنى الظُّلُمات والله تعالى أعلم.

والظلم كله قبيح، ولذلك حرَّمَه الله على نفسه، وحرَّمَه على عباده. فالظلم مُحَرَّم بالكتاب والسنة والإجماع. فمن ذلك قوله تعالى في الحديث القدسي: " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، ... ".[2].

فهذا الحديث القدسي فيه تحريمُ ظُلْم العباد، وحديث الترجمة أعَمّ منه؛ لأنه يشمل تحريم ظُلْم النفس بالشرك، ويشمل تحريم ظُلم العباد.

فالواجب على العبد أن يحقق العدل، ويحرص عليه في كل شؤونه؛ فيما بينه وبين خالقه، وفيما بينه وبين الخَلق.

ويجب الحذر من الظلم، لأنه يأكل الحسنات، كما تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (٢٤٤٩، ٦٥٣٤): والذي فيه: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ... " الحديث.

ومثله حديث "**المُفْلِس**" عند مسلم (٢٥٨١)، وهو الذي تتلاشى حسناته الكثيرة وتنفد بسبب كثرة ظلمه للعباد، فيكون مصيره النار والعياذ بالله.

فهذا الحديث رغم قلة ألفاظه، فهو حديث جامع في التحذير من الظلم بأنواعه، والحثّ على العدل بأنواعه، فهو وصية نافعة جدًا، ومن لم يعمل به فهو على خطر عظيم جدا.

1- [الأنعام: ٦٣]

2- مسلم (٢٥٧٧)

﴿ شرح الحديث التاسع عشر﴾

قال المؤلف رحمه الله: **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.)**.

نعم، هذا الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة، وهذا لفظ مسلم (٢٩٦٣ . ٩) إلا أن فيه: "مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُم"، واللفظ الذي اتفق عليه الشيخان هو: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ».[1]

قوله: "**ازدراء النعمة**": أي احتقارها واستصغارها. والنعمة: هي حصول محبوب أو رفع مكروه.

وهذا الحديث جامع لمعاني الخير، وقد نبّه فيه إلى الداء؛ وهو النظر إلى من هو فوقه، ووصف دواء ذلك؛ بأن ينظر إلى من هو دونه.

قال الطبري رحمه الله: (وهذا حديث جامع لمعانى الخير، وذلك أن العبد لا يكون بحال من عبادة ربه مجتهدًا فيها؛ إلا وجد من هو فوقه فى ذلك. فمتى طلب نفسه باللحاق بمن هو فوقه استقصر حاله التى هو عليها، فهو أبدًا فى زيادة تقربه من ربه، ...)[2]

فذكر الطبري رحمه الله هنا الإنسان المُنعَّم، وذكر أجَلَّ نعمة، وهي نعمة طاعة الله وعبادته، فالواجب عليه هنا أن ينظر إلى من هو فوقه، أي في أمور الآخرة، فلا بد أن يجد من يفوقه في العبادة والتقوى، فينافسه في ذلك، فالمنافسة تكون في أمور الآخرة وليس في نعيم الدنيا الزائل، ولذلك قال الطبري بعدها: (ولا يكون على حالةٍ خسيسةٍ من دنياه إلا وجد من أهلها من هو أخسّ منه حالا، فإذا تأمل ذلك وتفكره وتبين نعم الله عليه؛ علم أنها وصلت إليه ولم تصل إلى كثير من

1- أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣ ـ ٨)، لكن زاد مسلم: " ممن فُضِّلَ عليه".
2- ('شرح البخاري' لابن بطال: ١/ ١٩٩)

خلقه، فضله الله بها من غير أمر أوجب ذلك له على خالقه، ألزم نفسه من الشكر عليها أن وفق لها ما يعظم به اغتباطه في معاده) انتهى كلامه، [1]

نعم، فإن الفقير والمُبتلى الصابر على فقره وابتلائه سوف يَعظُم اغتباطه وسروره يوم القيامة، لأنه صبر في الدنيا على ما ابتُلِي به، وشكر ربَّه على ما أنعم عليه به، ونِعَمُ الله كثيرة عليه رغم ما يبدو أنه قليل الحظ من هذه الدنيا.

فهذا الحديث وصية عظيمة، نافعة جامعة لأحوال جميع الناس، فلا يستغني عن هذه الوصية تقي ولا فاسق، ولا غنيّ ولا فقير، ولا ملِكٌ ولا مملوك، ولا صحيح ولا سقيم، فإن الإنسان لا يخلو أن يكون مُنعَّماً في هذه الدنيا، أو أن يكون حظُّه قليلاً مِن نعيمها، والمُنعَّم مهما عَظُم نعيمه فلا بد أن يجد مَن يفوقه بوجهٍ مِن وجوه النعيم، فإذا لم يُحَصِّن نفسه بالرضا والقناعة فلن تقنع نفسه أبدًا، وسوف يزدري نِعَم الله عليه ولو كثُرَت وعَظُمَت، فدواؤه ما جاء في هذا الحديث وهو: أن ينظر إلى مَن هو دونه، حتى يرى النعمة الحاضرة الموجودة عنده، وحتى لا ينظر إلى النعمة المفقودة منه.

وأما قليل الحظ من حطام هذه الدنيا، غير المُنعَّم فيها، فهذا أولى بهذا العلاج وأحوج إليه مِن الأول، لأنه مهما قَلَّ حظه من نعيم الدنيا، فسوف يجد الكثير الكثير ممن هم دونه في ذلك، وهو فوقهم بكثير، بل سيجد أنه فوق كثير من الأغنياء والملوك في بعض الوجوه، ولو كان فقيراً، فكم مِن غنيّ في المال قد فقد راحة البال، وفقد الصحة فلم يعد يشعر بلذّة الطعام، ولا بلذّة النوم.

وكم من الأغنياء من فقد نعمة الوَلَد، وإن وُجِد عنده أولاد فليسوا به بارّين، وهكذا.. فالعبد في جميع أحواله يفوق عدداً كبيراً من الخَلق في كثير من النِّعَم، في وجوه متعددة.

فإن الله تبارك وتعالى لمّا قال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[2] لم يخاطب الأغنياء فقط، بل خاطب جميع خَلْقِه غنيّهم وفقيرهم، التقي والفاسق، فتأمّلْ هذا.

1- أنظر 'شرح البخاري' لابن بطال (١ / ١٩٩).
2- [النحل: ١٨]، [إبراهيم: ٣٤]

فالواجب على جميع العباد، المُنَعَّمين وغير المُنَعَّمين. فيما يظنون. أن يتفَكّروا في نِعَم الله عليهم، فهذا يُعينهم على شُكْرها حقّ الشُّكر. وقد حثّ اللهُ عبادَه أن يتفَكّروا في النعمة الحاضرة لو كانت مفقودة؛ ماذا سيكون حالهم؟

قال الشيخ السعدي في ' القواعد الحسان ' (١/ ١١٣): (وقوله في سورة القصص: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾ [القصص: ٧٢] إلى آخر الآيات، حيث يذكِّرهم أن ينظروا إلى ضدِّ ما هم فيه من النِّعم والخير، ليعرفوا قدر ما هم فيه منها) انتهى.

فهذا باب من أبواب شُكر الله عز وجل على نِعَمِه، تَفَكَّر في نفسك، ماذا لو كنتَ أعمى البصر؟ ماذا لو كنتَ مشلولاً لا تتحرك؟ ماذا لو كنتَ مسجوناً ظلماً فاقداً لحريتك؟... إلى غير ذلك من النِّعَم الحاضرة التي نحن في غفلة عن شكرها.

ثم تفكر كيف أن غيرك الكثير من الخلق قد فقدوا هذه النِّعَم وغيرها من النِّعم مما تتنعّم أنت به دونهم.

وقد حثّ النبي ﷺ على هذا أيضا. أي أن تنظر إلى ضدّ ما عندك من النِّعَم. فقال عليه الصلاة والسلام: " مَنْ رَأَى مُبْتَلًى، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلَاءُ ".[1]

لماذا لا يصيبه ذلك البلاء؟ ذلك. والله أعلم. لأنه شكَر الله على النِّعمة التي هو فيها، فلمّا نظر إلى ضدّ النِّعمة الحاضرة، شكَر اللهَ على النِّعمة الحاضرة، فتدوم النِّعمة عليه، فبالشكر تدوم النِّعَم وتزداد.

وكُفْر النِّعمة يمحقها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2]

فالنظر إلى مَن هو دونه ذريعة إلى شُكر النِّعمة، والنظر إلى مَن فوقه ذريعة إلى كُفْرها.

قال ابن القيم رحمه الله في ' إعلام الموقعين ' (٣ / ١٢١):

1- أخرجه الترمذي (٢٤٣٢) وحسَّنَه. وانظر ' الصحيحة ' للألباني (٦٠٢).

2- [ابراهيم: ٧]

(أَنَّهُ نَهَى الرَّجُلَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَاللِّبَاسِ؛ فَإِنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى ازْدِرَائِهِ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاحْتِقَارِهِ بِهَا، وَذَلِكَ سَبَبُ الْهَلَاكِ.) انتهى.

قوله (**سببُ الهلاك**)؛ لأنه كَفر نعمة ربِّه ولم يشكرْها، وهذا إيذانٌ بزوالها في الدنيا، وبالعذاب عليها في الآخرة، نسأل الله العافية.

فشُكْرُ النِّعمة واجب، وشُكْرُ النِّعمة له ثلاثة أركان:

- **الأول: (شُكْرُ القلب)**؛ وذلك باعترافه أن ما به مِن نعمة فمِن الله وحده، كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[1].
- **الثاني: (شُكْرُ اللسان)**؛ بالتحدثِ بالنعمةِ، وشُكْرِ اللهِ عليها، وحَمْدِه عليها، والثناءِ عليه بها بما هو أهله.
- **الثالث: (شُكْرُ الجوارح)**: وذلك باستعمال النِّعمة في طاعة الله، والاستعانة بها على رضاه.

وجميع العبادات الظاهرة داخلة في شُكْر الله على نِعَمِه:

قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[2]

قال البغوي: (اعملوا يا آل داود بطاعة الله شُكراً له على نِعَمِه).

فالشُّكر؛ يكون بالقلب واللسان والجوارح. أما الحَمْد؛ فيكون بالقلب واللسان فقط، فالشُّكر أَعَمُّ مِن حيث الآلة.

فالعبادات والطاعات من شكر الله، فالعابد والطائع شاكرٌ لله على نِعَمِه، والعاصي كافرٌ بنِعَمِه. ولذا فإن النبي ﷺ كان يقوم حتى تتفطَّر قدماه، فلمّا سُئل عن ذلك قال: " أفلا أكون عبدا شكورا "[3]

أي على أن بشره بالجنة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكان يشكر الله بطول القيام والركوع والسجود شيئا لا يطيقه أحد.

1- [النحل: ٥٣]
2- [سبأ: ١٣]
3- أخرجه البخاري (١١٣٠، ٤٨٣٦، ٤٨٣٧، ٦٤٧١).ومسلم (٢٨١٩، ٢٨٢٠).

فهذه الثلاثة أركان عليها يقوم شُكْر الله تبارك وتعالى، ومَن انتقص واحداً منها فقد كَفَر نعمة ربه.

وكُفْر النعمة في الغالب من الشرك الأصغر، أي مِن أكبر الكبائر، لأن الشرك مِن أكبر الكبائر.

وقد يكون كُفْر النعمة من الشرك الأكبر، وتفصيل هذا في شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب الباب الأربعين.

فإذا علمْتَ أن شُكْرَ النِّعمة لا يتحقق إلا بشُكْرِ القلب واللسان والجوارح معاً؛ **فاعلم أن أهم واحد منها هو: شُكْرُ القلب**؛ لأن اللسان والجوارح تبعٌ له.

ولذلك فقد ذكر الرسول ﷺ في حديث الترجمة ما يُعينك على شُكْر القلب؛ وهو أن تنظر إلى مَن هو دونك في نعيم الدنيا، فمتى فعَل العبد ذلك عَلِم أنه في نِعَم عظيمة وكثيرة لا يمكنه أن يحصيها فضلاً عن شُكْرِها، فيسعى دائمًا إلى شُكْر الله على نِعَمه بقلبه ولسانه وجوارحه، حتى لا يكون مِن الكافرين للنعمة، وهذا هو المطلوب منه والواجب عليه.

وأكثر المؤمنين مقصّرون في شُكْر الله، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1] أي: القِلَّة مَن يشكر الله كثيرا، هذه في المؤمنين.

وقال تعالى في الكفار: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[2].

وهذه أشدّ، هذه تبين أن الأكثر لا يشكرون مُطلَقاً، وهم الكفار؛ الكافر لا يشكر ربَّه أبدًا.

وقد نهى اللهُ في كتابه عن المنافسة في أمور الدنيا، ونهى أن يتمنّى الرجل مالَ غيره، ونعمة غيره، فقال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾[3]

قال البغوي رحمه الله: (نهى اللهُ تعالى رسولَه ﷺ عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها عليها) انتهى من تفسيره.

1- [سبأ: ١٣]
2- [البقرة: ٢٤٣] [يوسف: ٣٨]، [غافر: ٦١]
3- [الحجر: ٨٨]

وقال ابن عباس: (نُهي الرجلُ ان يتمنى مال صاحبه).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[1]

هذه الآيات ظاهرها النهي عن النظر إلى المشركين والكفار المُنَعَّمين، لأن هذه النعم فتنة لهؤلاء المشركين. وحديث الترجمة عامّ في النهي عن النظر إلى مَن فوقك سواء كان مسلماً أو كافراً. فالحديث أَعَمّ من دلالة الآيات.

وفي آية (طه: ١٣١) ما يعين على القناعة، وهو قوله تعالى: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾، أي في الآخرة.

فمن نظر إلى ما أَعَدّه الله للمؤمنين في الآخرة من النعيم العظيم المقيم؛ هان عليه ما فاته من نعيم الدنيا الزائل، هذا كما قال تعالى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾[2].

قال الحافظ ابن رجب في تفسيره: (وإنما المعنى؛ خير لك ولمن آمن بك).[3] فهذه الآية فيها بشرى لنبيّنا على التعيين، وفيها بشرى لكل مسلم، لكن لا على التعيين.

وفي هذه الآية. آية الضحى. تسلية لمن قلّ حظّه مِن نعيم الدنيا الزائل، وفيها حثّ على تعليق القلب بالآخرة لمن كثُر حظّه مِن نعيم الدنيا، وأن لا يركن إليها، لأن نعيمها قليل مهما بدا عظيما، وزائل مهما طال بقاؤه.

فهذا باب عظيم جامع لأنواع الخير كما ترى، وحديث الترجمة وصية جامعة لحالات كثيرة جدًا.

فكل مَن رأى صاحب نعمة عليه أن يداوي ذلك بالنظر إلى مَن هو دونه، ستجد نفسك دائمًا غنياً، وأن عندك ما ليس عند غيرك، وهذا يعينك على القناعة بما عندك، والقناعة هي الغنى الذي لا ينفد، كما قال عليه السلام: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[4]

1- [طه: ١٣١]
2- [الضحى: ٤]
3- [تفسير ابن رجب: ٢/ ٥٩٣].
4- متفق عليه، البخاري: (٦٤٤٦)، مسلم: (١٠٥١).

وتعظيم شأن النعمة علامة على شُكْرها، وازدراؤها علامة كُفْرها، والقناعة بالقليل يعين على شُكْر النعمة، بل هي علامة على شُكْرِها، قال النبي ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» [1]

وكان رِزق محمد ﷺ كفافاً، وكان مُتَخَفِّفاً مِن متاع الدنيا، ولو شاء لأعطاه الله ذلك، لكنه كان يدعو ويقول: «اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»[2]أي ما يسد الرمق. ولنا فيه عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة.

وقد علَّمَنا أن ندعو الله في كل صلاة ونقول: " اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".

[1]- مسلم: (١٠٥٤).
[2]- البخاري: (٦٤٦٠) ومسلم: (١٠٥٥)

﴿شرح الحديث العشرين﴾

قال المؤلف رحمه الله: (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ». متفق عليه).[1]

قوله: " حتى يتوضّأ "؛ أي: حتى يتوضّأ بالماء.

وأخرَجه مسلم من حديث عبد الله بن عمر قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ، ...»[2].

وقوله هنا: " بغير طُهور " بالضم شَمَل الوُضوء والتيمم والغُسل.

لأن (الطُّهور) بالضمّ؛ هو فِعْل التّطهّر؛ سواء كان ذلك بالتيمم أو بالوضوء أو بالغُسل.

ولذلك ذكرتُ لكم حديث ابن عمر، هذا لأن حديث أبي هريرة فيه الوُضوءُ فقط، أي بالماء فقط. وحديثُ ابن عمر فيه الوُضوءُ والغُسلُ والتيممُ، ولو اقتصر أحدٌ على حديث أبي هريرة فإنه قد ينكرُ التيمم، وهذا خطأ كبير.

هذا المثال له تعلق بموضوع الدرس..

وذلك أن الحكم الشرعي لا يؤخذ من دليل واحد، إنما يؤخذ من مجموع الأدلة في المسألة.

هذا هو موضوع هذا الدرس، وهذه قاعدة مهمة.

فقوله ﷺ: «لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ» ذكر التطهر بالماء فقط، ففيه أن الوُضوء شرط للصلاة، وأنه مقدم على التيمم، ولكن هذا لا يمنعُ أن توجد شروط أخرى للصلاة بأدلة أخرى، ولا يمنعُ أن توجد أركان وموانعُ بأدلة أخرى، ولا يمنعُ التطهر للصلاة بالتيمم لثبوت ذلك بأدلة أخرى.

فذكر المؤلف هذا الحديث كمثال لتقرير قاعدة جامعة نافعة وهي:

"أن الأحكام لا تنعقد على وجهها الصحيح إلا باجتماع شروطها وأركانها، وانتفاء موانعها".

1- أخرجه البخاري (١٣٥، ٦٩٥٤)، ومسلم (٢٢٥ - ٢).

2- مسلم (٢٢٤)

هذه قاعدة مهمة ونافعة لأهل العلم وطلاّبه، ولا سيّما المبتدئون منهم، وهي جامعة للكثير من الاحكام في الأصول والفروع.

وبيانها:

أن الشارع الحكيم يذكر الشروط والأركان والموانع متفرقة، وذلك تسهيلاً لفهمها وحفظها، وقد يكون ذلك بحسب نزول الشريعة أيضًا والتدرّج في ذلك.

فيجب أن نعلم أنه لا يُشترَط أن تُذكَر جميع الشروط والأركان والموانع في موضع واحد، فإن ذلك لا يحدث إلا نادراً، فإنه يحدث في النصوص المُبيَّنة التي لا تحتاج إلى بيان، مثل: (آية الوُضوء)، وحديث (المسيء صلاتَه)، وحديث (أفلحَ إن صدق)، هذه النصوص جاءت مُبيَّنة ولا تحتاج إلى مزيد بيان، لأنها ليس فيها إجمال، فكل ما ورَد فيها فهو واجب، وما لم يُذكَر فيها فهو مُستحَب.. هذا قول أكثر أهل العلم.

ولكن مثل هذه النصوص قليل، وأكثر نصوص الشريعة ليست كذلك. أي أنها ليست مُبيَّنة. فالواجب على الفقيه أن يتتبّعَ الأدلةَ من الكتاب والسنة، وأن يضُمَّها إلى نظائرها، وينظرَ فيها بحسب قواعد أصول الفقه، ثم يخرجَ بالحُكم على وجهه الصحيح. فإن النبي ﷺ بعثه الله ليُبَيِّن القرآن، فأكثر النصوص غير مُبيَّنة، ويجب على الفقيه أن يبحثَ وأن يضمَّ النصوص بعضَها إلى بعض.

فهذه قاعدة على درجة كبيرة من الأهمية، وتشتدّ الحاجة إليها في عدد من الحالات؛ أذكرُ بعضَها، فمن ذلك:

- الحالة الأولى: لاستنباط الشروط والأركان والموانع؛ وذلك عند تعدد الأدلة وتفرّقها.
- الحالة الثانية: عند تعارض الأدلة الفقهية.
- الحالة الثالثة: عند تقرير مسائل العقيدة.
- الحالة الرابعة: عند الحُكم على مُعَيَّن.

- أما الحالة الأولى:

فقد تقدم الحديث عنها، ومثالها حديث الترجمة الذي بيَّنّاه قبل قليل.

- الحالة الثانية: عند تعارض الأدلة.

والأدلة ليس فيها تعارض حقيقي؛ إنما هو تعارض في الذهن. وعند جمع الأدلة يزول هذا التعارض المُتوهَّم. فيقوم العالِم بجمع الأدلة وتطبيق قواعد أصول الفقه عليها؛ مِن حمْل المتشابه على المُحكَم، والمُجمَل على المُبَيَّن، والظاهر على المؤوَّل، والمُطلَق على المُقيَّد، والعامّ على الخاص، وحمل المنسوخ على الناسخ... وغير ذلك من القواعد المعلومة عند أهل العلم؛ ثم يستنبط الحكم الصحيح.

والطريقة المتّبعة في ذلك: أنه أولاً يبحث عن النَّسْخ، فإن لم يجد فالجَمْع بين الأدلة، فإن لم يستطع الجمع بينها فالترجيح، فإن لم يستطع أن يرجّح بين الأدلة يتوقَّف.
إذن؛ النَّسْخ، ثم الجَمْع، ثم الترجيح، ثم التوقُّف.
وليس المراد أن نشرح الآن قواعد الأصول، إنما المراد أن نفهم هذه القاعدة.

- الحالة الثالثة: عند تقرير العقيدة.

الواجب في تقرير مسائل العقيدة التّوسط، ويتحقق ذلك بالأخذ بجميع الأدلة. وهذا ما يفعله أهل السنة والجماعة رحمهم الله جميعا الأحياء منهم والأموات.
أما أهل البدع فلا يراعون هذه القاعدة، بل يأخذون الجانب الذي يوافق أهواءهم ويتغافلون عن الجانب الآخر.
فمثلاً.. :

- الخوارج أخذوا الأدلة التي أهملها المرجئة، فتطرَّفوا.
- والمرجئة أخذوا الأدلة التي أهملها الخوارج، فتطرَّفوا أيضًا.
- وأهل السنة أخذوا بجميع الأدلة فتوسَّطوا.
- وكذلك المعطلة أخذوا ما تركه المشبهة من الأدلة.
- والمشبهة أخذوا ما تركه المعطلة من الأدلة، فتطرّفوا جميعهم.
- وأهل السنة والجماعة أخذوا جميع النصوص وآمَنوا بها كلها.

وهكذا قُلْ في القدَرية؛

- القدَرية الجبرية على طرَف،
- والقدَرية النُّفاة على طرَف، كلٌّ منهم أخَذ ما أهمَله الآخر.
- وأهل السنة توسطوا وعملوا بجميع الأدلة.

وهكذا الرافضة والناصبة مع آل البيت على طرفي نقيض.

وهكذا في الفقه؛ أصحاب الرأي والظاهرية على طرفي نقيض، والحدادية والمميعة على طرفي نقيض.

فالتوسط هو الأخْذ بجميع النصوص الواردة في المسألة بحسب منهج السلف الصالح وأصول الفقه وقواعد اللغة، فلا يكون حينئذ إفراط ولا تفريط، ولا غلوٌّ ولا جفاء.

- الحالة الرابعة: الحُكم على المُعَيَّن بالكفر أو البدعة.

وهذا كثير عند الخوارج وعند الحدّادية، فالخوارج يُكفِّرون بلا ضوابط،

والحدّادية يُبَدِّعون بلا ضوابط.

الخوارج يُكفِّرون المسلمين بغير حق بسبب جهلهم بهذه القاعدة، وبجهلهم بالعمل بها.

ومن المقرَّر عند أهل السنة والجماعة أنهم يُفَرِّقون بين "الحُكم العامّ" و "الحُكم على مُعَيَّن".

فلا بد من النظر إلى جميع النصوص، لا أن ننظر إلى نصٍّ واحد ونأخذ منه حُكْماً ونهمل الباقي.

"الحُكْم العامّ" يُسمّونه: الحُكْم على الفِعل؛ أي لا يقصدون به شخصاً بعينه، فمثلا:

قوله ﷺ: "من ترك الصلاة فقد كفر"؛ هذا حكمٌ عامّ، لم يُسَمِّ إنساناً بعينه.

وقوله ﷺ: " قتال المسلم كفر"؛ حكمٌ عامّ.

وقول الله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1] حكمٌ عامّ. أي؛ حكمٌ على الفعل، بمعنى أن هذا الفعل كفر.

ولكن عندما نريد أن نحكم على شخص مسلم بعينه أنه كَفَر، أو ابتدع، فهذا يسمى حُكْماً على مُعَيَّن. فالواجب في هذه الحالة: توفُّر الشروط وانتفاء الموانع وإقامة الحُجّة عليه إن لم تكن

1- [المائدة: ٤٤]

قائمة، وإزالة الشبهة عنه، ويُستتاب ويُنصح ويُبَيَّن له مِن قِبَل أهل العلم. فإن أبى الرجوع بعد ذلك كله؛ وحَكَم عليه أهل العلم بالرِّدّة؛ فيجب على وليّ الأمر فقط أن يقتله، ليس لأحد دون وليّ الأمر أن يقتله.

وأما الخوارج فلا يفعلون شيئًا مِن هذا، بل يستبيحون دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم مطلقاً وبلا أي دليل.

ويَحسُن هنا أن نعلم أنه يُشترَط في تكفير المُعَيَّن ثلاثة شروط تقابلها ثلاثة موانع، فيُشترَط:

١. العلم المنافي للجهل.

٢. والقصد المُنافي للخطأ والتأويل.

٣. والاختيار المُنافي للإكراه.

فالجاهل يُعذَر، والمخطئ والمتأوِّل يُعذَرون، والمُكره يُعذَر ولا يجوز تكفيره.

وهذا كله عليه أدلة من الكتاب والسنة نظر فيها أهل العلم، وجمعوا بعضها إلى بعض، ولم يقتصروا على بعض دون بعض كما يفعل أهل البدع. وتفصيل هذه المسألة. مسألة كفر المُعَيَّن. تجدونها في كتب العقيدة.

والمراد الآن أن نفهم هذه القاعدة، فهذه القاعدة نافعة في حِفْظ دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، ونافعة في تقرير العقيدة الصحيحة، ونافعة في استنباط الأحكام الفقهية على وجهها الصحيح، وهذه القاعدة هي:

(**أن الأحكام لا تتم إلا باجتماع شروطها وأركانها، وانتفاء موانعها**). ولا يمكن معرفة ذلك إلا بِضَمّ النصوص بعضها إلى بعض.

فهذه قاعدة عظيمة جامعة لمسائل كثيرة جدًا في أصول الدين وفروعه كما مثّلنا. والله الموفِّق سبحانه..

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

أسئلة الدرس الثامن:

السؤال الأول: عرف الظلم في اللغة وفي الشرع.

الجواب:

-الظلم في اللغة هو: "وضع الشيء في غير موضعه".

-وفي الشرع: ظلم أكبر وظلم أصغر.

الظلم الأكبر هو: "المخرج من الملة" أي هو الشرك الأكبر.

والظلم الأصغر هو: "ما لا يخرج من الملة"، أي هو الشرك الأصغر والبدع والمعاصي.

السؤال الثاني: ما معنى الظلمات في اللغة، وفي الحديث: "الظلم ظلمات"؟

الجواب:

-الظلمات في اللغة جمع "ظلمة" بضم الظاء، وهي ذهاب النور.

-ومعنى"الظلمات" في الحديث محتمل لثلاثة معان:

١ - ظاهر الحديث يعني أن الظلم ظلمة على صاحبه يوم القيامة؛ حتى لا يهتدي سبيلا، أما المؤمنون فيسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، كما جاء في آيات سورة الحديد (١٢، ١٣) والتحريم (٨).

٢ المعنى الثاني: الشدائد، لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾ [الأنعام: ٦٣] أي شدائدها.

٣ - المعنى الثالث: العقوبات، لأن الظالم سيعاقب على ظلمه.

وجميع هذه المعاني صحيحة، لأنها محتملة من جهة اللغة، ولأنها ستقع يوم القيامة بهذه المعاني كما دلت عليه الأدلة.

السؤال الثالث: ما هو أعظم أنواع الظلم؟ وما الدليل؟

الجواب: هو الشرك الأكبر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

هذا دليل من القرآن وهو كاف بلا شك. اما الدليل من اللغة: فلأن المشرك بالله وضع عبادته في غير موضعها، فعبد من لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يملك شيئا.

السؤال الرابع: اختر الإجابة الصحيحة في الأسئلة الآتية:

● الظلم المذكور في القرآن:

أ- أكثره من الظلم الأكبر.

ب- أكثره من الظلم الأصغر.

ج- أقله من الظلم الأكبر.

د- لا شيء مما ذكر.

الجواب: أ

السؤال الخامس: الظلم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] هو:

أ- الظلم الأكبر. ب- الظلم الأصغر.

ج- فيه تفصيل. د- لا شيء مما ذكر.

الجواب: ج- فيه تفصيل:

فإذا استحل الحكم بغير ما أنزل الله فهو ظلم اكبر، وإذا لم يستحلّه واعترف أنه محرم فهو ظلم أصغر .

السؤال السادس: عرف النعمة؟

الجواب: هي " حصول محبوب أو رفع مكروه".

السؤال السابع: اذكر أركان الشكر وعرف كل نوع.

الجواب: أركان الشكر ثلاثة.

-شكر القلب: باعترافه بالنعمة وبأنها من الله وحده.

- شكر اللسان: بالتحدث بها وشكر الله وحمده عليها.

شكر الجوارح: باستعمالها في طاعة الله.

السؤال الثامن: أكمل الحديث: (انظروا إلى من أسفل...) واشرحه بإيجاز.

الجواب:

قال الرسول ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ» متفق عليه.

وشرحه: الحديث جامع، فلا يستغني عنه الطائع ولا العاصي؛ لأنهم مأمورون أن ينظروا إلى من فوقهم في الطاعة.

ولا الغني ولا الفقير؛ لأنهم مأمورون أن ينظروا إلى من دونهم في نعيم الدنيا.

ولا المبتلى ولا المعافى؛ لأنهم مأمورون أن ينظروا إلى من هو دونهم في الصحة.

فبين الرسول عليه السلام في هذا الحديث الداء والدواء، الداء هو ان ينظر إلى من فوقه في نعمة الدنيا؛ وهذه ذريعة إلى ازدراء النعمة وكفرها فيهلك. والدواء أن ينظر إلى إلى من دونه فيقنع ويرضى ويشكر.

السؤال التاسع: أجب بنعم أو لا.

١- يشترط في النصوص الشرعية أن تذكر جميع الشروط والأركان والموانع في موضع واحد.

الجواب: لا.

٢- إذا ثبت أن الدليل مبيَّن، وأنه لا يحتاج إلى مزيد بيان؛ فكل ما ذكر فيه فهو واجب، وما لم يذكر فيه فهو مستحب.

الجواب: نعم.

٣ - لا تنعقد الأحكام تامَّة إلا باجتماع شروطها وأركانها وانتفاء موانعها.

الجواب: نعم.

٤- أكثر نصوص الشريعة مبيَّنة.

الجواب: لا.

٥- الحكم على معيَّن هو الحكم على الفاعل بعينه.

الجواب: نعم.

السؤال العاشر: أكمل الفراغ:

يشترط في تكفير المعيَّن ثلاثة شروط، تقابلها ثلاثة ..... (١)، وهي:

العلم المنافي ..... (٢) و..... (٣) المنافي للخطأ والتأويل والاختيار المنافي..... (٤)

الجواب:

(١) موانع.

(٢) للجهل.

(٣) القصد.

(٤) للإكراه.

▪▪ والحمد لله رب العالمين ▪▪